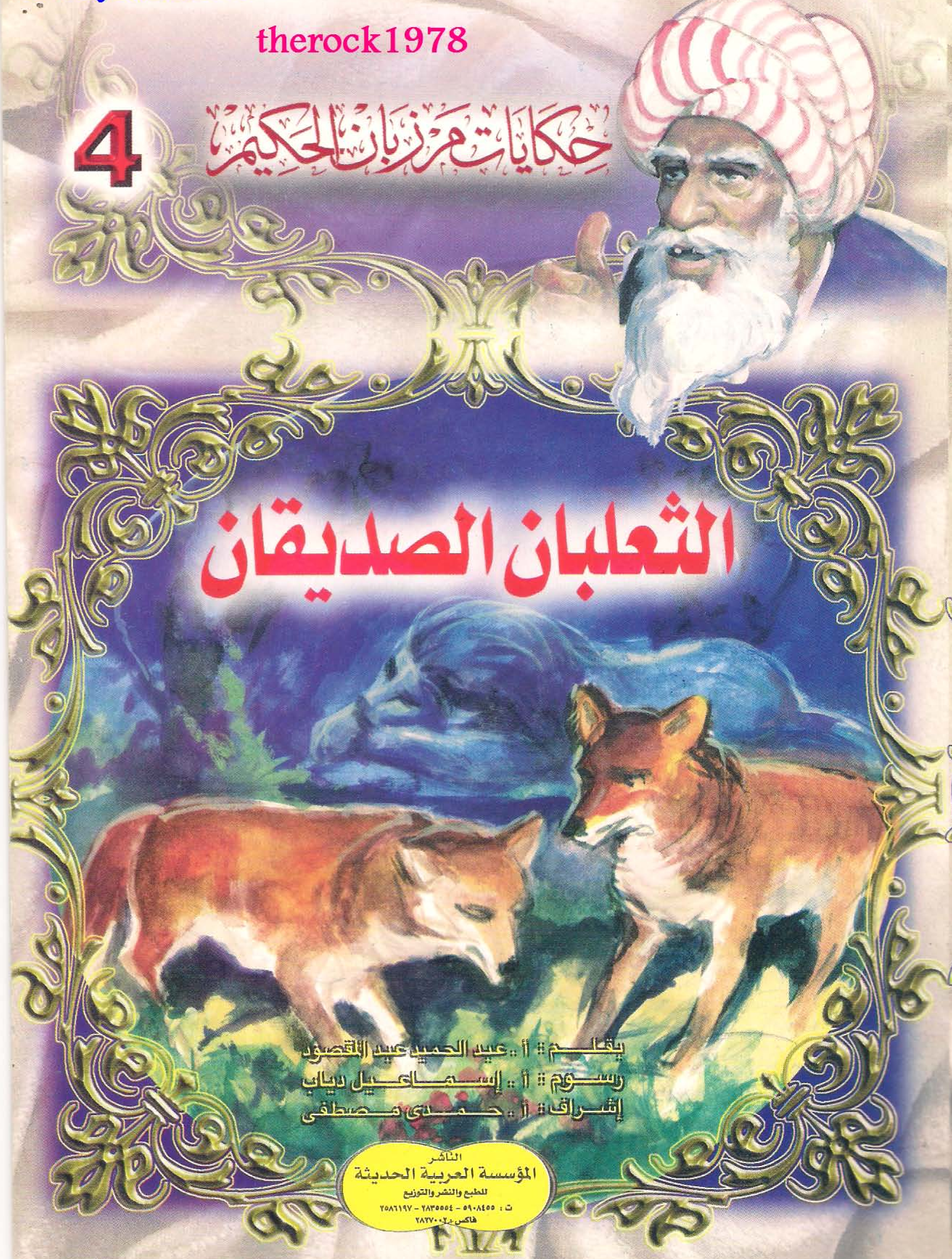
4

حكايات مرزبان الحكيم

الثعلبان الصديقان



بقلم : أ . عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : أ . إسماعيل دياب
إشراف : أ . حمدي مصطفى

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢

الثَّعْلَبانِ الصَّدِيقانِ



كانَ الأَسَدُ يَعِيشُ حَيَاةً كَرِيمَةً مُرَفَّهَةً ، فى رَوْضَةٍ غَنَّاءَ كَثيرَةِ الْخُضْرةِ ، فَيَّاضَةٍ بِالماءِ ..

وكانَ مَحْبوبًا مِنْ شَعْبِهِ ورَعِيَّتِهِ ، مُهَابًا مِنَ الأَعْداءِ ..

وكانَ الدُّبُّ هُوَ وَزِيرُ الأَسَدِ ، الَّذِى يَنُوبُ عَنْهُ فى الْقِيامِ بِالكَثير مِنَ الأُمُورِ الْخَطِيرَةِ ..

وكانَ لِلأَسَدِ مُسْتَشارانِ مِنْ أَقْرَبِ أَصْدِقائِهِ ، وأَخْلَصِ أَعْوانِهِ ، وهُمَا ثَعْلَبانِ ..

وكانَ أَحَدُهُما يُدْعَى (الْعزيز) والآخَرُ يُدْعَى (العادل) ..

وكانَ كُلٌّ مِنْهُما نَاصِحًا أَمِينًا لِلأَسَدِ ، لا يَبْخَلُ عَلَى الأَسَدِ بِالرَّأْى الصَّائِبِ ، والمشُورَةِ النَّافِعَةِ .. ولِذَلِكَ لَمْ يَكُنِ الأَسَدُ يَقْضِى أَمْرًا إِلا بَعْدَ الرُّجوعِ إِلَيْهِمَا ..

وكانَ ذَلِكَ يُضَايِقُ الدُّبَّ كَثِيرًا ، ويُوغِرُ صَدْرَهُ عَلَى الثَّعْلَبَيْنِ ، فَكانَ يَتَرَقَّبُ الْفُرَصَ ، لِتَشْوِيهِ صُورَتَيْهِما أَمامَ الأَسَدِ ، ويُدَبِّرُ الْحِيَلَ فى الْخَفَاءِ لِلتَّخَلُّصِ مِنْهُما ، لَكِنَّ حِيَلَهُ اللَّئِيمَةَ لَمْ تُفْلِحْ أَبَدًا ، وظَلَّ الثَّعْلَبانِ مُلازِمَيْنِ لِلأَسَدِ ..



وذاتَ يَوْمٍ كَانَ الثَّعْلَبانِ جَالِسَيْنِ مَعَ الأَسَدِ يُشِيران عَلَيْهِ فى بَعْضِ الأُمُورِ ، ويُخَفِّفانِ عَنْهُ بِرِوايَةِ الْقِصَصِ والنَّوادِرِ ، فَغَلَبَ النَّوْمُ الأَسَدَ ، وتَثَاءَبَ بِشِدَّةٍ ، فَضَحِكَ (العزيز) ساخِرًا بِشدَّةٍ ، وتَظَاهَرَ الأَسَدُ بِأَنَّهُ غارِقٌ فى النَّوْمِ ، حَتَّى يَعْرِفَ ما يَدورُ بَيْنَ الثَّعْلَبَيْنِ فى أَثْنَاءِ نَوْمِهِ ..

ولَمَّا رَأَى (العادل) زَميلَه قَدْ ضَحِكَ مِنْ تَثَاؤُبِ الأَسَدِ ، عَاتَبَهُ عَلَى ذَلِكَ قائِلاً :



ـ لماذا ضَحِكْتَ مِنْ تَثَاؤُبِ الأَسَدِ فى أَثْنَاءِ نَوْمِهِ ؟!
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الضَّحِكَ بِدُونِ سَبَبٍ مِنْ قِلَّةِ الْحَيَاءِ والأَدَبِ ، وأَنَّ الْمُلُوكَ يَجِبُ أَنْ تُحْتَرَمَ مَجَالِسُهُمْ ، سواءٌ أكانُوا حَاضِرِينَ أَمْ غائِبِينَ ، نَائِمِينَ أَمْ مُسْتَيْقِظِينَ ؟!
ومَنْ جَالَسَ الْمُلُوكَ بِغَيْرِ أَدَبٍ ، فَقَدْ خَاطَرَ بِنَفْسِهِ وأَوْجَبَ لَهَا التَّعَبَ ..

فَقَالَ (العزيز) :

ـ إِذَا طُهِّرَ اللِّسانُ مِنَ الكَذِبِ ، وزُكِّيَتِ النَّفْسُ مِنَ الْجَهْلِ ، وخَلا صاحِبُهَا مِنَ الْعُيُوبِ ، فَلا شَىءَ عَلَيْهِ إذا ضَحِكَ مِنْ أَخْطاءِ غَيْرِهِ ..

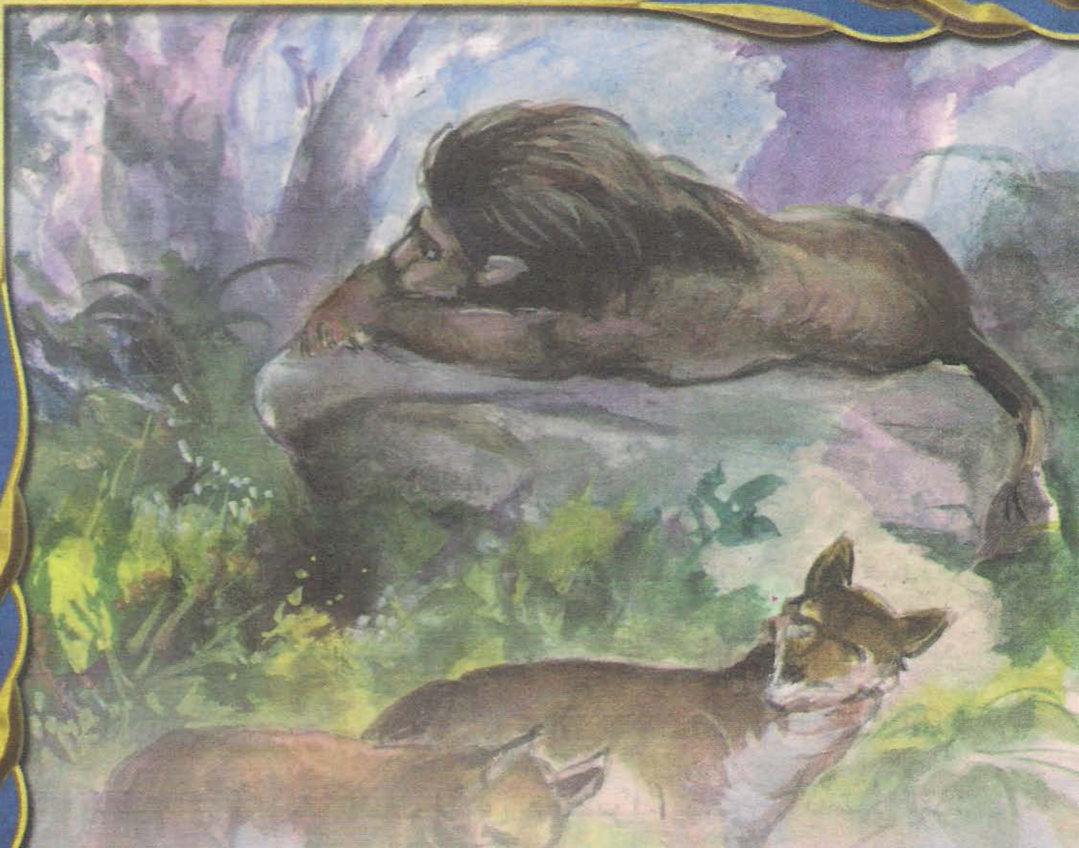
فَقَالَ (العادل) :

ـ يُعْرَفُ الْجَاهِلُ بِثَلاثِ عَلامَاتٍ : أَنْ يَرَى نَفْسَهُ خَالِيًا مِنَ الْعُيُوبِ ، وأَنْ يَرَى نَفْسَهُ أَعْلَمَ مِنْ غَيْرِهِ ، وأَنْ يَغْتَرَّ بِعِلْمِهِ ، فَيَتَصَوَّرَ أَنَّهُ قَدْ وَصَلَ إِلى أَعْلَى دَرَجاتِ الْعِلْمِ ..

فَقَالَ (العزيز) :

ـ أَعْلَمُ ذَلِكَ ..

وأَضَافَ (العادل) ناصِحًا :



ـ واعْلَمْ أَيْضًا أَنَّكَ إِذَا رَأَيْتَ نَفْسَكَ طاهِرًا مِنَ الْعُيُوبِ خَالِيًا مِنْهَا ، وطَالِبًا لِعُيُوبِ غَيْرِكَ باحِثًا عَنْهَا ، فَإِنَّكَ غارِقٌ فى الْعُيُوبِ ، والأَوْلَى بِالْمَرْءِ أَنْ يُحاوِلَ الْبَحْثَ عَنْ عُيُوبِ نَفْسِهِ أَوَّلاً ، ويُحَاوِلَ إِصْلاحَهَا ..

فَقَالَ (العزيز) :

ـ صَدَقْتَ يا أَخِى وأَحْسَنْتَ فى إِسْدَاءِ النُّصْحِ لى ، ولكِنْ لِتَعْلَمْ أَنَّ هذَا الضَّحِكَ قَدْ صَدَرَ مِنِّى عَلَى سَبيلِ الْخَطَأِ والْغَفْلَةِ ، وعَلَى سَبيلِ السَّهْوِ ، وهُوَ كالسَّهْمِ إِذَا



خَرَجَ مِنَ الْقَوْسِ ، فَإِنَّهُ لا يَعُودُ إِلَيْهِ ..

فَقَالَ (العادل) :

ـ لكِنَّكَ أَذْنَبْتَ فى حَقِّ الْملكِ وهُوَ نَائِمٌ ..

وقَالَ (العزيز) :

ـ هَذَا صَحِيحٌ ، لكِنَّ الذَّنْبَ غَيْرَ الْمتَعَمَّدِ لا يَسْتَحِقُّ صَاحِبُهُ الْعُقُوبَةَ .. وأَنَا أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى أَنْ رَزَقَنِى صَدِيقًا ناصِحًا ، وأَخًا مُحِبًا مِثْلَكَ .. وكُلُّ ما أَرْجُوه مِنْكَ هُوَ أَلا تُفْشِى سِرَّ هَذهِ الْهَفْوَةِ الَّتِى حَدَثَتْ ، وأَحْمَدُ اللَّهَ على أَنَّ غَرِيمَنا الدُّبَّ لَيْسَ حاضِرًا ، حَتَّى لا يُفْشِىَ هَذَا السِّرَّ ، ويُخْبِرَ بِهِ الأَسَدَ ، فَيَغْضَبَ مِنِّى ..

فَقَالَ (العادل) :

ـ مِنْ عَلاماتِ الْجَهْلِ أَنْ يُودِعَ الْمَرْءُ سِرَّهُ مَعَ آخَر ، ويَطْلُبَ مِنْهُ كِتْمانَهُ ، ولِذَلِكَ فَأَنَا أَنْصَحُكَ أَلا تَسْتَوْدِعَ أَحَدًا سِرَّكَ ، لأَنَّ السِّرَّ إِذَا كانَ ثَقِيلاً عَلَى صاحِبِهِ ، فَإِنَّهُ عَلَى الآخَرِ أَثْقَلُ .. وكُلُّ سِرٍّ جَاوَزَ الشَّفَتَيْنِ ضَاعَ ..

وكانَ الأَسَدُ خِلالَ ذَلِكَ يَتَظَاهَرُ بِالنَّوْمِ ، وقَدْ مَلأَهُ الْغَضَبُ ، فَلَمَّا انْتَهَتِ الْمُحَاوَرَةُ بَيْنَهُما جَلَسَ ، وأَمَرَ



حُرَّاسَهُ بِالْقَبْضِ عَلَى (العزيز) وحَبْسِهِ فى السِّجْنِ ، عِقَابًا لَهُ عَلَى ما بَدَرَ مِنْهُ مِنَ الضَّحِكِ والسُّخْرِيَةِ مِنْه وهُوَ نَائِمٌ ..

فَحَزِنَ (العزيز) عَلَى ما حَدَثَ لَهُ ، وحَزِنَ صَدِيقُهُ مِنْ أَجْلِهِ ، ولكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطعْ أَنْ يَمْنَعَ الأَسَدَ مِنَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ ..

وتَوَجَّهَ (العادل) إلى صَدِيقِهِ (العزيز) فَزَارَهُ فى السِّجْنِ مُواسِيًا إِيَّاه ، ومُحَاوِلاً أَنْ يُخَفِّفَ عَنْهُ مِحْنَتَهُ .. فَقَالَ (العزيز) :



- لَسْتُ نادِمًا عَلى ما حَدَثَ لى مِنْ سَجْنٍ بَعْدَ حُـرِّيَّةٍ ، وذُلٍّ بَعْـدَ عِـزٍّ ، لأَنَّ كُلَّ مـا يُصِـيبُ الْمَرْءَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فى هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، إِنَّما هُوَ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وقَدَرِهِ ..

فَقَالَ (العادل) :

- صَدَقْتَ ، فَكُلُّ شَىءٍ فى هَذِهِ الْحَيَاةِ مُقَدَّرٌ مُنْذُ الأَزَلِ ..

وقَالَ (العزيز) :

- وخُلاصَةُ الْقَوْلِ ، أَنَّهُ إِذَا كـانَ حَظُّ الْمَرْءِ وسَعْدُهُ مُقْبِلاً ، فإِنَّ كُلَّ حَرَكَةٍ تَصْدُرُ عَنْهُ تَكُونُ سَعِيدَةً .. وإِذَا كانَ حَظُّهُ وسَعْدُهُ مُدْبِرًا ، فَإِنَّ كُلَّ ما يَصْدُرُ عَنْهُ يَكُونُ ضِدَّهُ .. وقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ ذَلِكَ ، لكِنَّنِى كُنْتُ غَـافِلاً عَنْهُ ، حَتَّى صَدَمَنِى الزَّمانُ به ..

فَقَالَ (العادل) :

- إِنَّنِى أَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَفُكَّ أَسْرَكَ ، ويُخْرِجَكَ مِنْ هَذِهِ الْمِحْنَةِ فى أَقْصَرِ وَقْتٍ ..

وقَالَ (العزيز) :

- وأَنَا أَرْجُوكَ بِحُكْمِ صَدَاقَتِنَا أَنْ تَعْمَلَ عَلَى خَلاصِى



مِنْ هَذِهِ الْمِحْنَةِ ، بِحُسْنِ تَدْبيرِكَ وراجِحِ عَقْلِكَ ..

فَتَأَثَّرَ (العادل) مِنْ كَلامِ صَدِيقِهِ ، وقَالَ فِي صِدْقٍ :

- ثِقْ بِأَنَّنِي سَوْفَ أَبْذُلُ كُلَّ جَهْدِي ، وأَسْعَى لَدَى الأَسَدِ ، حَتَّى يَعْفُوَ عَنْكَ ويُطْلِقَ سَرَاحَكَ ..

قَالَ (العزيز) :

- هَذَا ما أَثِقُ بِهِ وأَعْتَمِدُ عَلَيْهِ ..

وأَضَافَ (العادل) قَائِلاً :

- مِنْ حَقِّ الصَّدِيقِ عَلَى صَدِيقِهِ ، أَنْ يُشَارِكَهُ فِى



هُمُومِهِ وأَحْزانِهِ ، كَمَا يُشَارِكُهُ فى مَسَرَّاتِهِ وأَفْراحِهِ ..

وإِذَا أَخْطَأَ فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُ إِلى طَرِيقِ الصَّوَابِ ، ولا يَتْرُكَهُ عَلَى الْخَطَأِ .. وإِذَا صَدَرَ مِنْهُ جَفَاءٌ ، فَإِنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَتَدَارَكَهُ بِالْوَفَاءِ .. وأَلا يُؤَاخِذَهُ فى حَالَةِ الْغَضَبِ .. وأَنَا إِذَا لَمْ أَبْذُلْ أَقْصَى جَهْدِى لإِنْقَاذِكَ فَلا فَائِدَةَ إِذَنْ فى صُحْبَتِى ..

وتَوَجَّهَ (العادل) مُبَاشَرَةً إِلَى الأَسَدِ ، حَتَّى يُكَلِّمَهُ فى أَمْرِ صَدِيقِهِ (العزيز) ، ويَعْتَذِرَ لَهُ عَمَّا بَدَرَ مِنْهُ .. لكِنَّهُ رَأَى الدُّبَّ جَالِسًا مَعَهُ ، وهَمَّ أَنْ يَتَكَلَّمَ ، لكِنَّهُ تَذَكَّرَ عَدَاوَةَ الدُّبِّ لَهُ ولـ (العزيز) ، فَخَافَ أَنْ يُفَاتِحَ الأَسَدَ فى أَمْرِ الْعَفْوِ عَنْ صَدِيقِهِ فى أَثْنَاءِ وُجُودِ الدُّبِّ ، حَتَّى لا يُوغِرَ صَدْرَ الأَسَدَ ضِدَّهُ ..

ولكِنَّ الدُّبَّ ظَلَّ جالِسًا ولَمْ يُغَادِرِ الْمَجْلِسَ ، فَقَالَ (العادل) مُخاطِبًا الأَسَدَ :

- أَيُّها الأَسَدُ الْمُهابُ ، إِنَّ مِنْ عَادَاتِ الْملُوكِ الْعِظَامِ الْعَفْوَ عَنِ الْجَرائِمِ ، والتَّغَاضى عَنِ الْهَفَوَاتِ ، خَاصَّةً



إِذَا كانَ وُقُوعُهَا عَنْ طَرِيقِ السَّهْوِ والْخَطَأِ ، ووَقَعَتْ مِنْ أَشْخَاصٍ مَعْرُوفِينَ بِإِخْلاصِهِمْ وصِدْقِهِمْ لمُلوكِهِمْ .. إنَّ (العزيزَ) مُعْتَرِفٌ بِتَقْصِيرِهِ ، ويَرْجُو منْكَ الْعَفْوَ عَنْ هَفْوَتِهِ ، والنَّظَرَ إِلَيْهِ بِعَيْنِ الشَّفَقَةِ والرَّحْمَةِ ، نَظرًا لِسَابِقِ مَوَدَّتِهِ وإِخْلاصِهِ فى خِدْمَتِكَ ونُصْحِكَ ..

فَلَمَّا سَمِعَ الأَسَدُ مِنَ (العادل) ذَلِكَ ، أَطْرَقَ صَامِتًا ، ولَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ .. لكِنَّهُ عَلِمَ أَنَّ (العادل) صَدِيقٌ مُخْلِصٌ يَرْعَى حَقَّ صَدِيقِهِ فى غَيْبَتِهِ ، ويُدَافِعُ عَنْهُ فى مِحْنَتِهِ ..



ولَمَّا رَأَى الدُّبُّ سُكُوتَ الأَسَدِ قَالَ فى نَفْسِهِ :

- إِنَّ سُكُوتَ الملُوك هُوَ عَلامَةُ الرِّضَا ، ومَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الأَسَدَ قَد هَدَأَتْ نَفْسُهُ ، ولا بُدَّ أَنَّهُ سَيَرْضَى عَنِ (العزيز) ، ويَأْمُرُ بِإِطْلاقِ سَرَاحِهِ .. لَنْ أُفَوِّتَ هَذِهِ الْفُرْصَةَ ، حَتَّى أَنْتَقِمَ مِنْ عَدُوِّى وغَرِيمى ..

وَتَكَلَّمَ الدُّبُّ إِلَى الأَسَدِ مُحَرِّضًا إِيَّاه :

- اعْلَمْ أَيُّها الأَسَدُ الْمُهَابُ ، أَنَّ مَنْ أَخْفَى خِيَانَةَ الْخَائِنِ فَهُوَ خَائِنٌ مِثْلُهُ ، ومَنِ اسْتَخَفَّ بِجَرِيمَةِ الْمُجْرِمِ فَهُوَ شَرِيكٌ لَهُ فى جَرِيمَتِهِ ، خَاصَّةً إِذَا كانَتْ هَذِهِ الجريمَةُ قَدْ صَدَرَتْ فى حَقِّ الملُوكِ ، وأَنَا أَرَى أَنَّ (العادل) شَرِيكٌ لـ (العزيزِ) فى جُرْمِهِ ، لأَنَّهُ يَتَشَفَّعُ لَهُ ويُدَافِعُ عَنْهُ ..

فَقَالَ (العادل) :

- لِتَعْلَمْ أَيُّها الوزيرُ أَنَّنَا كُلَّنا مَحَلُّ الْخَطَأِ ، وعُرْضَةٌ لِلتَّقْصِيرِ .. وإِذَا لَمْ يَشْفَعِ الْمَرْءُ لِلْجَانِى ، فَلِمَنْ يَشْفَعُ ؟! هَلْ يَشْفَعُ لِلْمُحْسِنِ ؟! وإِذَا لَمْ يَأْخُذِ الْمَرْءُ بِيَدِ صَدِيقِهِ المخْطِئِ حَتَّى يُخْرِجَهُ مِنْ خَطَئِهِ ، فَبِيَدِ مَنْ يَأْخُذُ ؟! إِنَّ



مَنْ لا خَيْرَ فِيهِ لأَصْدِقَائِهِ ، لا خَيْرَ فِيهِ لأَحَدٍ .. وإِنِّى طَلَبْتُ الْعَفْوَ مِنَ الأَسَدِ الْمهابِ ، والْعَفْوُ مِنْ شِيَمِ الكِرامِ وصِفَاتِ الملُوكِ الْعِظَام ..

ولِتَعْلَمْ أَيُّها الْوَزِيرُ ، أَنَّ الْخَطَأَ الصَّادِرَ مِنْ أَىِّ شَخْصٍ يكُونُ علَى أَرْبَعَةِ أَنْواع :

الزَّلَّة أَوِ التَّقْصِيرِ أَوِ الخِيَانَة أَوْ إِيقَاع الأَذَى والضَّرَرِ ..

فَقَالَ الدُّبُّ :

ـ أَعْلَمُ ذَلِكَ ..



وقَالَ (العادل) شَارِحًا :

ـ ولِتَعْلَمْ أَيْضًا أَيُّها الْوَزِيرُ ، أَنَّ جَزَاءَ الزَّلَّةِ هُوَ الْعِتَابُ ، وأَنَّ جَزَاءَ التَّقْصِيرِ هُوَ تَوْجِيهُ اللَّوْمِ والتَّوْبِيخِ إِلَى الشَّخْص الْمُقَصِّرِ ، وأَنَّ جَزَاءَ الْخِيانَةِ هُوَ إِيقَاعُ أَشَدِّ الْعُقُوبَةِ ، أَمَّا إِيقَاعُ الأَذَى والضَّرَرِ فَجَزَاؤُهُ إِيقَاعُ أَذًى وضَرَرٍ مِثْلِهِ بِالشَّخْصِ الَّذِى فَعَلَهُ ..

فَقَالَ الدُّبُّ :

ـ أَعْلَمُ ذَلِكَ أَيْضًا ..

وأَضَافَ (العادل) قَائِلاً :

ـ والذَّنْبُ الصَّادِرُ مِنْ صَدِيقى (العزيز) هُو زَلَّةٌ صَغِيرةٌ وهَفْوَةٌ غَيْرُ مَقْصُودَةٍ ، وقَدِ اسْتَوْفَى جَزَاءَهُ .. والأَسَدُ المهَابُ منْ حَقِّه أَنْ يُعَاقِبَهُ أَوْ يَعْفُوَ عَنْهُ ، وإِنْ كانَ الْعَفْوُ أَلْيَقَ بِالأَسَدِ المهَابِ منَ الْعِقَابِ ..

فَقَالَ الدُّبُّ ، وهُوَ يَكْتُمَ غَيْظَهُ :

ـ مِنَ التَّسَاهُلِ أَنْ يَعْفُوَ الْمَلِكُ عَنِ الْمجْرمينَ الآثِمِينَ ، حَتَّى لا يَطْمَعَ كُلُّ المجْرِمينَ فى عَفْوِهِ ، فَتَشِيعَ الْفَوْضَى ،



ويَعُمَّ الْفَسَادُ ، ويَفْلِتَ زِمَامُ الأُمُورِ مِنْ يَدِهِ ، فَيَيتَجَرَّأَ عَلَيْهِ الأَعْدَاءُ ، وتَضِيعَ هَيْبَتُهُ ..

فَقَالَ (العادل) :

- إِنَّ الأَسَدَ المهابَ يَعْلَمُ أَنَّ (العزيز) لَمْ يُقَصِّرْ فى خِدْمَتِهِ ، أَوْ يَخْرُجْ عَنْ طَاعَتِهِ ، ولَمْ تَثْبُتْ لَهُ خِيَانَتُهُ ، وخَلِيقٌ بِهِ أَنْ يَعْفُوَ عَنْ هَفْوَتِهِ ، لأَنَّ كَرِيمَ الطَّبْعِ ،



لا يَصْدُرُ عَنْهُ إلا الْعَفْوُ ..

فَقَالَ الأسدُ :

- سَوْفَ أَنْظُرُ فى هَذَا الأَمْرِ وأُصْدِرُ فيه حُكْمِى ..

وسَكَتَ الدُّبُّ فَلَمْ يَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ .. ثُمَّ انْفَضَّ الْمَجْلِسُ ..

(يُتْبَعَ)

رقم الإيداع : ٢٧٢٤٤ / ٩٧٧ - ٢٦٦ - ٣٤١ - ٤

المطبعة العربية الحديثة

١٠,٨ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية

القاهرة - ☎ ٢٨٢٣٧٩٢ - ٢٨٣٥٥٥٤